مجلة جامعة الملك سعود، م١٠، الآداب (٢)، ص ص ٣٨١-٤٠٩ (١٤١٨هـ/١٩٩٨م).

مكتبة برجاموم من خلال كتابات الدارسين المحدثين

سعد بن عبدالله الضبيعان
أستاذ مشارك، قسم علوم المكتبات والمعلومات، كلية الآداب،
جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(أُقدم للنشر بتاريخ١٣/ ١١/ ١٤١٦هـ؛ وقُبل للنشر بتاريخ ٢٠/ ٧/ ١٤١٧هـ)

ملخص البحث. تتناول هذه الدراسة مكتبة برجاموم . تحاول في البداية إلقاء الضوء على مملكة برجاموم التي نشأت في أحضانها هذه المكتبة المهمة وذلك من حيث الموقع ، والتأسيس ، والأهمية الثقافية ، والاقتصادية ، والاجتماعية في العالم الهيلينستي . ثم تركز الدراسة على المكتبة من خلال عدة محاور تشمل نشأتها ومنشآتها ، ومقتنياتها وتنظيمها موضحة جهود علمائها والإسهام الحيوي الذي قامت به هذه المملكة في صناعة الرق وجعله للكتابة بديلاً عن البرديات . ثم تختتم الدراسة بخاتمة تستعرض فيها أهم نتائج الدراسة . وأخيرا تذيل الدراسة باقتراح موضوعات محددة من شأن دراستها الإسهام في سد ثغرات الأدب العربي المكتوب حول هذا الموضوع .

١ ـ مقدمة

١ , ١ - مشكلة الدراسة

لم تحظ مكتبة برجاموم - على الرغم من شهرتها وأهميتها - بعناية كبيرة من لدن من أرخوا للمكتبات مقارنة بما كتب حول منافستها مكتبة الإسكندرية . وإذا كان هذا هو

الحال بالنسبة لبعض اللغات كالإنجليزية مثلاً ، فإن هذا يصدق تماما على ما كتب حول هذا الموضوع باللغة العربية .

١,٢ - أسئلة الدراسة

- ما هي أهمية مكتبة ومملكة برجاموم ؟
- من أسس تلك المملكة ؟
- ما علاقة برجاموم بصناعة الرَّق ؟
- ما مكانة مكتبة برجاموم في هذه المملكة ؟
- من هو مؤسس المكتبة ؟
- كيف كان يتم تزويدها بالمقتنيات ؟
- كيف كانت تنظم مجموعاتها ؟
- ما حجم تلك المجموعات ؟
- هل مقتنياتها من البرديات أو الرقّ؟
- من أبرز علماء برجاموم وخاصة أولئك الذين لهم علاقة بالمكتبة ؟
- ما هي العلاقة بين مكتبة برجاموم والمكتبات السابقة واللاحقة لها ؟

١,٣ - أهمية الدراسة وأهدافها

- تنبع أهمية هذه الدراسة من أهمية هذه المكتبة العريقة باعتبارها أهم مكتبة هيلينستية بعد مكتبة الإسكندرية القديمة .

- تكمن أهميتها أيضا في أنها - حسب علم الباحث - أول دراسة علمية موثقة كتبت بالعربية حول هذه المكتبة .

- ترمي هذه الدراسة إلى الإسهام في إيجاد أدب عربي مكتوب وموثق حول هذا الموضوع، يستفيد منه الباحثون وطلاب الجامعات العربية ، خاصة أن الباحث لم يعثر على كتاب واحد ؛ لا بل مقالة علمية واحدة كتبت حول هذا الموضوع .

- وهدف آخر تسعى هذه الدراسة لتحقيقه وهو حفز همم الدارسين والباحثين من

خلال تركيز اهتمامهم على هذا الموضوع البكر ، عله يجد ما يستحقه من الاهتمام والدراسة والتمحيص .

١,٤ - مجال الدراسة وحدودها

تتناول هذه الدراسة مكتبة برجاموم كإحدى المكتبات الهيلينستية الكبيرة - ودون إسهاب مطول - المحاور التالية :

أولا : برجاموم (برغامة) : المملكة والمدينة من حيث الموقع ، وأهمية برجاموم الثقافية والعلمية ، والاقتصادية والاجتماعية في العالم الهيلينستي .

ثانيا : مكتبة برجاموم من خلال التركيز على : أهميتها ، إنشائها ، ومنشآتها ، مجموعاتها ، تنظيمها و علمائها .

ثالثا : برجاموم ودورها في صناعة الرقّ (Vellum) Parchment .

رابعا : التأثر والتأثير ، أو العلاقات مع أهم المكتبات السابقة واللاحقة .

١,٥ - الدراسات السابقة

ليس من المبالغة القول إن الباحث خلال تقصيه أدبيات هذا الموضوع ، لم يعثر على كتاب واحد باللغة العربية حول مكتبة برجاموم . لا بل إنه لم يجد دراسة علمية واحدة في أية دورية عربية تناولت الموضوع . ولهذا السبب اعتمد الباحث على الأدب المكتوب باللغة الإنجليزية . أما طبيعة المراجع التي تم الرجوع إليها فقد تراوحت تغطيتها ما بين المتوسطة والسريعة واللمحات المتفرقة هنا وهناك .

تأتي في مقدمة المراجع التي وجدها الباحث مفيدة ، الكتب التالية :

١- *Alexandrian Library:Glory of the Hellenistic World, Its Rise, Antiquities and Destruction* «مكتبة الإسكندرية : مفخرة العالم الهيلينستي» الذي ألفه إدوارد الكسندر بارسونز (انظر حاشية رقم ٦) . ومع أن الكتاب خُصِّصَ أساساً لمكتبة الإسكندرية القديمة - كما هو واضح من عنوانه - إلا أن المؤلف أفرد الفصل الثالث (ص ص ١٩ - ٣١) لمكتبة برجاموم . ورغم أن هذا الفصل من أقصر فصول الكتاب ، إلا أن الباحث وجده -

على قصره - من أفضل ما اطلع عليه من أدبيات حول هذا الموضوع .

٢ - *The Care of Books* « العناية بالكتب، » هو عبارة عن مقالات في تطور المكتبات منذ أقدم الأزمان حتى نهاية القرن الثامن عشر الميلادي . ألف هذا الكتاب جون ويلز كلارك (انظر حاشية رقم ٤ .) تكمن أهمية هذا الكتاب لهذه الدراسة في أنه ركز على موقع مكتبة برجاموم ورسم مخططا لها والأماكن المحيطة بها ، مستفيدا من المكتشفات الأثرية التي توصل إليها متحف برلين في ألمانيا خلال تنقيبه في هذا الموقع بين سنتى ١٨٧٨ - ١٨٨٦م .

٣- *History of Libraries in the Western World* «تاريخ المكتبات في العالم الغربي» لمؤلفيه المرجونسون ومايكل هاريس (انظر حاشية رقم ٩ .) يُعد هذا الكتاب من أفضل الكتب المرجعية في تاريخ المكتبات في الغرب . إلا أن تناوله لمكتبة برجاموم كان محدودا جدا إذ لم يتجاوز الصفحتين طولاً .

٤ - بالإضافة إلى ذلك هناك عدد كبير من الكتب التي تناولت هذا الموضوع بشكل مختصر جدا . وهناك بعض الكتب التي تناولت موضوعات محددة لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بموضوع هذه الدراسة ، مثل اكتشاف الرَّق كوسيط للكتابة ، والعلاقة بين الرَّق والبردي ، والعلاقة بين مكتبة الإسكندرية وبرجاموم ، وغير ذلك .

٥ - تناولت الموسوعات العامة والمتخصصة والمعاجم والكتب المرجعية الأخرى مكتبة برجاموم ، وكان هدف هذا التناول - كما هو هدف هذه الأدوات - تزويد القارئ العادي بفكرة عامة عن هذه المكتبة .

وقد استخدم الباحث جميع تلك الكتب المشار إليها ، بالإضافة إلى العديد من المراجع ، أشار إليها في المكان المناسب من متن هذه الدراسة .

٢ - مملكة برجاموم ومكتبتها

٢,١ - برجاموم - المملكة والمدينة

لم تقتصر الحضارة الإغريقية على ما عرف بالبر اليوناني الذي تشغله بلاد اليونان اليوم والواقع في شبه جزيرة البلقان ، وإنما امتد إلى أماكن أخرى خارجه . فقد خرجت

تلك الحضارة منذ وقت قديم إلى جزر البحر الأبيض المتوسط وبحر إيجة ، كما امتدت شرقا وجنوبا . وأسس النازحون من تلك المناطق حضارات خارج بلادهم الأصلية . وقد اتضح هذا التوسع بكثافة في عهد الإسكندر المقدوني (الأكبر) Alexander the Great الذي أسس مملكة واسعة الأرجاء ، امتدت - فيما امتدت - من الهند شرقا إلى مصر غربا . إلا أنه ، بموته في عام ٣٢٣ ق . م . ، لم تستطع مملكته الاستمرار طويلاً ، فسرعان ما اقتسمها قواده الكبار . فقد أسس البطالمة مملكة لهم في مصر واتخذوا من الإسكندرية التي أسسها الإسكندر المقدوني في عام ٣٣٢ ق . م . عاصمة لهم . واستقل السلوقيون Seleucids في سوريا وجعلوا أنطاكية حاضرة لها . وفي آسيا الصغرى استقل الأتاليون Attalid dynasty بمملكة برجاموم Pergamum (Pergamon) بعد أن كانوا يحكمونها كمقاطعة تابعة لمملكة السلوقيين في سوريا . [١] وتعود الحضارات التي ظهرت في جميع هذه الممالك في أصولها إلى الحضارة اليونانية . إلا أن الحضارة والثقافة اللتين ظهرتا في هذه الممالك لها ما يميزها عن الحضارة الأم ، وذلك لامتزاجها بحضارات الشرق العريقة . ولذلك عرفت بالحضارة الهيلينستية Hellenistic . ويعني هذا المصطلح كل ما له علاقة بتاريخ اليونان ولغتها وحضارتها بعد وفاة الإسكندر المقدوني في عام ٣٢٣ ق . م . [٢]

تقع برجاموم (أو برغامة كما تدعى في العربية أحيانا) في أقصى الشمال الغربي من آسيا الصغرى (شكل رقم ١) على ارتفاع ١٠٠٠ قدم فوق سطح البحر ، على بعد ١٤ ميلاً من بحر إيجة . ورغم أنه لا يعرف الكثير عن تاريخها المبكر ، إلا أن مملكة برجاموم يعود تاريخها إلى حوالي ٢٨٠ ق . م . وقد تعاقب على حكمها عدد من ملوك الأسرة الأتالية هم على الترتيب : [٣]

- فيلاتورس Philetaerus (٢٨٠ - ٢٦٣ ق . م .)
- يومينيس الأول Eumenes I (٢٦٣ - ٢٤١ ق . م .)

---

(١) *The New Encyclopedia Britannica* (Chicago: Encyclopedia Britannica Inc., 1989), 9:288.

(٢) *The Concise Oxford Dictionary* (Oxford: The Claredon Press, 1982), 464.

(٣) Harry Thurston Peck, ed., *Harper's Dictionary of Classical Literature and Antiquities* (New York: Cooper Square Publishers, 1965), 1200.

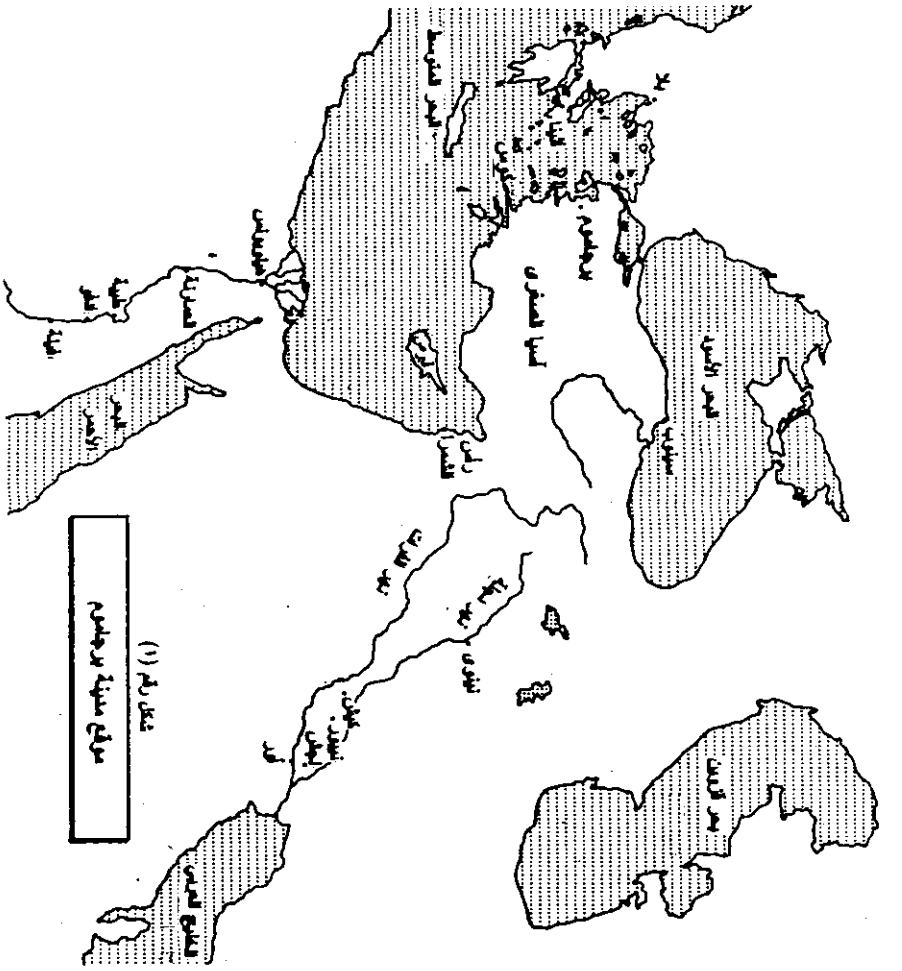
شكل رقم (١)
موقع مدينة برجامم

- أتالوس الأول Attalus I (٢٤١ - ١٩٧ ق.م.)
- يومينيس الثاني Eumenes II (١٩٧ - ١٥٩ ق.م.)
- أتالوس الثاني Attalus II (١٥٩ - ١٣٨ ق.م.)
- أتالوس الثالث Attalus III (١٣٨ - ١٣٣ ق.م.)

وقد وصلت هذه المملكة إلى أوج ازدهارها في عهد يومينيس الثاني الذي عُدَّت فترة حكمه التي استمرت ما يقرب من ٤٠ عاما، الفترة الذهبية لمملكة برجاموم . وقد أدت الحفريات التي أجريت في موقع هذه المدينة - تحت إشراف متحف برلين ومولتها حكومة ألمانيا بين عامي ١٨٧٨ و ١٨٨٦م - إلى اكتشاف كنوز فنية ومعمارية ثمينة.(٤)

وقد مكنت هذه الاكتشافات الآثاريين من وضع مخططات للمعالم الرئيسة للمدينة، كما أظهرت الأماكن الأكثر أهمية في هذه المدينة العريقة . على سبيل المثال وجدت المباني المهمة كالقصر الملكي ، والمخازن والثكنات العسكرية ، والمسرح ومعبد أثينا ذو الفناء الفسيح والأعمدة العالية المحيطة به . وإلى جوار المعبد تقع مكتبة برجاموم الشهيرة . وكان من الاكتشافات المهمة مذبح زيوس Zeus الذي يقدسه الإغريق ، والمذبح غني بأفاريزه المزخرفة بوصفها إحدى روائع الحضارة الهيلينسيتية .

ولاتزال هذه التحفة الفنية الرائعة ذات الأفاريز النافرة محفوظة في متحف برلين . أما الجزء الرئيس من المدينة فيقع في المنحدر حيث تقع المباني السكنية . وينحدر شارع من أعلى المدينة يربطها بالمباني المأهولة بالسكان في المنحدر.(٥)

٢,٢ - مكانة برجاموم

حظيت برجاموم بمكانة دولية مرموقة وذلك نتيجة لموقعها المهم ، وما حققته من تطور نظرا لاكتشافها لثرواتها الطبيعية المتعددة واستغلالها . فقد اكتشف فيها مناجم

(٤) John Willis Clark, *The Care of Books* (Cambridge: Cambridge University Press, 1909), 9.

(٥) *Encyclopedia Britannica* (Chicago: William Benton, Publisher, 1967), 17:605-606.

الفضة، حيث قام عليها العديد من الصناعات . كما أدت خصوبة أراضيها إلى قيام زراعة كثير من المحاصيل وخاصة القمح، الذي كان لدى برجاموم فائض كبير منه صدرته إلى الدول الأخرى . كما استفادت من مراعيها الواسعة في تنمية ثروة حيوانية كبيرة ، ساعدت على قيام الكثير من الصناعات، كالصناعات النسيجية والجلدية . ولعل أهم صناعة قامت على الإنتاج الحيواني اشتهرت بها برجاموم وخلد اسمها في التاريخ هو صناعة الرَّق (vellum) parchment الذي اشتق اسمه من اسم المملكة نفسها . كما اشتهرت مدينة برجاموم بنمطها المعماري المميز الذي ظهر واضحا في المعابد ، والقصور ، والحصون، وساحات المدينة التي زُيِّنت بأعمال الفن اليوناني من أنصبة وتماثيل وغيرها، حتى أصبحت من أجمل المدن الهيلينستية ، إن لم تكن أجملها على الإطلاق . وبلغ عدد سكانها في عهد الرومان مائتي ألف نسمة . وقد ازدهرت هذه المملكة عبر ما يقرب من قرن ونصف القرن . وكما أشير سلفا ، فإن هذه الدولة غنية بمصادرها الطبيعية التي قام عليها الكثير من الصناعات . فاستفادت حكومتها من الضرائب المفروضة على التجارة والصناعة والزراعة فشيدت القلاع والقصور والطرقات والميادين العامة . واشتهرت برجاموم بمدرستها المعمارية المميزة ، وخاصة في فن النحت ، حتى أصبح نمطها المعماري مثلاً يحتذى به في الدولة الرومانية . وأصبحت مدينة برجاموم بحق من أجمل المدن وأهمها لا في آسيا فحسب ، بل بين مدن اليونان في الفترة الهيلينستية .(٦)

٢,٣ - مصير مملكة برجاموم

يعتقد بارسونز أنه بموت أتالوس الثاني أتت الأسرة الأتالية إلى نهايتها . ذلك أن خلفه أتالوس الثالث كان حاكما ضعيفا لا يصلح للحكم ، قضى سني حكمه في تدبير المؤامرات ضد أقاربه الذين كان يقوم بتجريعهم السموم للتخلص منهم . هذا بالإضافة إلى قيامه بأعمال لا تمت إلى شؤون البلاد بصلة ، كممارسة هواياته في الزراعة ، وصناعة الصور أو التماثيل الشمعية . وبموته في سنة ١٣٣ ق . م . ، سلمت مملكة برجاموم إلى

(٦) Edward Alexander Parsons, *The Alexandrian Library: Glory of the Hellenenistic World, Its Rise, Antiquities and Destruction* (Amsterdam: The Elsevier Press, 1952), 23.

الرومان وفقاً لوصيته .

وقد حققت هذه المملكة الصغيرة الكثير من المنجزات الحضارية المهمة . وأحرزت إنجازات رائعة في مجال الثقافة والفنون والآداب فضلاً عن مكتسباتها في مجال الصناعة ، والزراعة ، والتجارة . وانتهى بها المطاف إلى الذوبان في البلدان المجاورة لتشكل جميعها ما عرف بالمقاطعة الرومانية الآسيوية . (٧)

٢,٤ - مكتبة برجاموم Pergamene Library

عدَّ ملوك الأسرة الأتالية مكتبتهم من أهم المنشآت في مدينة برجاموم ، ولذلك شُيِّدت في الأكروبولس Acropolis ، وهو الجزء الأرستقراطي من المدينة . وارتبطت بمعبد أثينا Temple of Athena . وقد كشفت الحفريات التي أجراها متحف برلين عن وجود أربع غرف يحتمل أنها جزء من المكتبة . وتبلغ أطوال أكثر هذه الغرف اتساعا ٤٢ × ٤٩ قدما ، (٨) ويشير جونسون وهاريس إلى أن أكبر تلك الغرف تبلغ أبعادها ٥٤ × ٥٥ قدماً . وهي بذلك تتسع لحوالي ٢٠ ألف لفافة . (٩) كما أشار جاكسون إلى أن مساحة المكتبة تقدر بنحو ١٠ × ٧٠ ياردة ، وهذا الحيز يمكن أن يتسع لحوالي ١٦٠ ألف لفافة . (١٠)

ويفترض أن المكتبة اشتملت على كُوى pigeon holes لحفظ اللفائف . ومن المحتمل أنها احتوت على مقاعد طويلة benches وضعت بحيث تحول بين القراء وأماكن الكتب ضمانا لسلامة اللفائف البردية من ناحية ، ولتسمح بترك مسافة كافية لفرد لفائف البردي عند تصفحها أو قراءتها من ناحية أخرى . هذا فضلاً عن استخدام تلك المقاعد للغرض الأساسي منها وهو الجلوس عليها . (١١) ويعتقد أن طراز البناء في هذه المكتبة قد تأثر بطراز

---

(٧) Parsons, *Alexandrian Library*, 28.

(٨) *Encycopedia of Library and Information Science* (New York: Marcell Dekker, 1968), 1:401.

(٩) Elmer D. Johnson and Michael H. Harris, *History of Libraries in the Western World*, 3rd ed. (Metuchen, N. J.: The Scarecrow Press, 1967), 52.

(١٠) Sidney L. Jackson, *Libraries and Librarianship in the West: A Brief Hisory* (New York: McGraw Hill, 1967), 18.

(١١) Johnson and Harris, *History*, 52.

مكتبة أرسطو في أثينا ، حيث تسود الأروقة المعمدة . كما أن طراز البناء في مكتبة برجاموم أصبح مثالاً يحتذى به في المكتبات الرومانية . (١٢)

ويشير شكل رقم ٢ إلى أكروبولس Acropolis مدينة برجاموم . ويمثل هذا الشكل مخطط الدور الأرضي . وقد أخذ هذا المخطط من إحدى لوحات المكتشفات الألمانية التي أجراها متحف برلين . ويظهر فيه معبد أثينا وفناؤه الواسع في مدينة برجاموم . وتظهر المكتبة وبعض المباني المجاورة ، وخاصة المسرح الذي يقع في الناحية الغربية . ويقع المدخل في الناحية الشرقية من الأكروبولس ويقود مباشرة إلى الرواق الشرقي east cloister الذي يساوي عرضه نصف عرض الرواق الشمالي north cloister ، ويقل عنه طولاً . ويحاذى الرواق الشمالي المكتبة ، ويتميز هذا الرواق باتساعه وبوجود صف كامل من الأعمدة يمتد على طول الرواق من الغرب إلى الشرق ، ويقع في منتصف الرواق تماماً .

وقد وجدت إلى شمال موقع المكتبة أربع غرف يظن المكتشفون الألمان أنها تابعة للمكتبة . وتبلغ أبعاد أكبر تلك الغرف ٤٢ × ٤٩ قدما . (١٣)

٢,٥ - مؤسس المكتبة

اختلفت المراجع التاريخية حول هذا الأمر . فقد أشار كثير ممن أرخ للمكتبات في الغرب إلى أن أتالوس الأول هو من يعود له فضل تأسيس هذه المكتبة . وممن نادى بهذا الرأي جونسون وهاريس (١٤) وهو ماذهب إليه جاكسون ، (١٥) وسافج ، (١٦) وبارسونز (١٧) وسفند دال ، (١٨) وغيرهم .

(١٢) Clark, *Care*, 19.

(١٣) Ibid., 10.

(١٤) Johnson and Harris, *History* , 51.

(١٥) Jackson, *Libraries*, 17.

(١٦) Ernest A. Savage, *The Story of Libraries and Book Collecting* (New York: Burt Franklin, 1969), 12.

(١٧) Parsons, *Alexandrian Library*, 24.

(١٨) سفند دال ، *تاريخ الكتاب من أقدم العصور إلى الوقت الحاضر* ، ترجمة محمد صلاح الدين حلمي (القاهرة: المؤسسة القومية للنشر والتوزيع ، ١٩٥٨م) ، ١٩ .

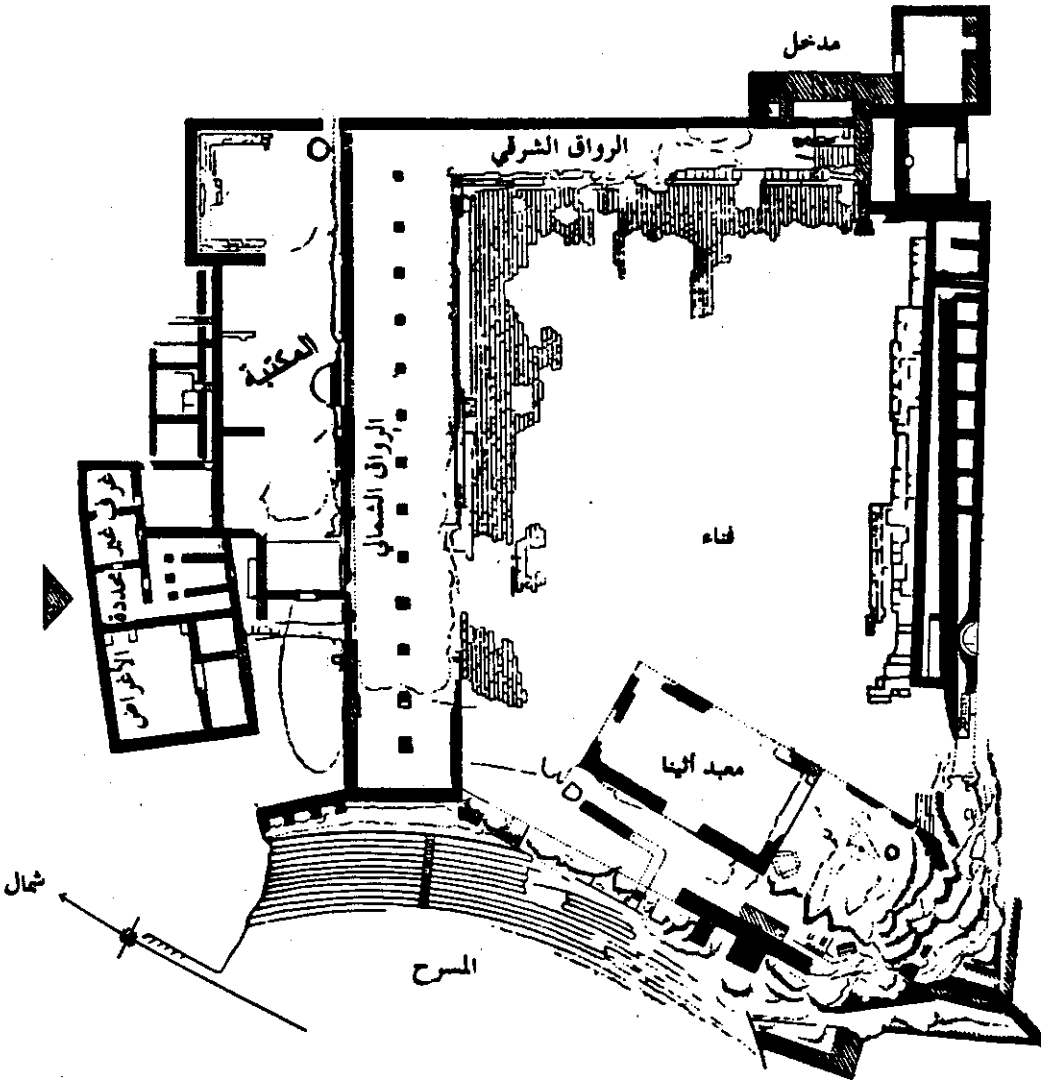

شكل رقم ٢ . مكتبة برجاموم والمباني المجاورة . المصدر : كتاب *العناية بالكتب* لمؤلفه جون ويلز كلارك ، ٩ .

أما سترابون فذهب إلى أن يومينيس الثاني هو الذي أسس المكتبة . وهو رأي أيده عديدون، مثل كلارك ، [١٩] وأولى ، [٢٠] وغيرهما . ويرجح الباحث أن أتالوس الأول هو الذي يعود له فضل تأسيس هذه المكتبة ، حيث جمع نواتها الأولى من الكتب . ولا غرابة في ذلك ، فقد كان هذا الحاكم كاتبا ونصيرا للفنون ، كما كان راعيا لمدرسة برجاموم . إلا أن المكتبة تطورت تطورا كبيرا في عهد ابنه وخلفه يومينيس الثاني الذي جمع أعدادا كبيرة من الكتب من مختلف الأنحاء لهذه المكتبة ، كما شيد بناءً فخما خاصا بها . وقد أصبح طراز هذا البناء مثالاً يحتذى به ، وخاصة للمكتبات الرومانية ، حيث كان تأثير هذه المكتبة وطراز عمرانها كبيرا ومباشرا على المكتبات الرومانية . [٢١]

وفي عهد يومينيس الثاني حدثت واقعة معروفة مفادها أنه – في نطاق التنافس القائم بين مكتبة الإسكندرية ومكتبة برجاموم – حاول أن يُغري أحد أهم مكتبي مكتبة الإسكندرية واسمه أرسطوفان البيزنطي Aristophanes of Byzantium بالمجيء إلى برجاموم للعمل بمكتبتها . إلا أن أمره افتضح قبل إتمام هذا الأمر ، فما كان من بطلميوس الخامس إلا أن سجن أرسطوفان . [٢٢] ويندرج ضمن هذا السياق أيضا مقولة إيقاف تصدير البردي إلى مملكة برجاموم والتي يجب أخذها بحذر شديد لعدم الاتفاق على صحتها .

٢,٦ – طرق التزويد وعدد المقتنيات

تُعد تنمية مجموعات المكتبات إحدى وظائفها الحيوية . ويعتمد التزويد عادة على أربع قنوات رئيسة هي : الشراء ، والتبادل ، والإهداء ، فضلاً عن الإيداع . وقد أدرك ملوك البطالمة في مصر ، ومن بعدهم ملوك الأتاليين في برجاموم منذ ما يربو على ألفي سنة أن المكتبة كائن متطور وذلك قبل أن يدرك هذه الحقيقة علماء المكتبات في القرنين

---

(١٩) Clark, *Care*, 8.

(٢٠) Raymond Irwin, *The* : انظر أيضًا ؛ James G.Olle, *Library History* (London: Clive Bingley, 1971), 21. *Origins of the English Library* (Westport, Conn.: Greenwood Press, 1981), 88.

(٢١) Savage, *Story*, 15.

(٢٢) Johnson and Harris, *History*, 52 ؛ انظر أيضا : Savage, *Story*, 13 .

التاسع عشر والعشرين . ولذلك عملوا بكل الطرق المتاحة في ذلك الوقت لتطوير مكتبتهم وزيادة مجموعاتها .

ومن المعلوم أن طرق تنمية مجموعات المكتبة قد اختلفت على مر العصور . ومن الطرق التي كانت سائدة قبل اختراع الطباعة في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي طريقة الكتابة ، أو الاستنساخ في المكتبة نفسها ، حيث يكلف المسؤولون عن المكتبات عددا من الكتبة أو النساخ لاستنساخ الكتب المراد اقتناؤها ، وذلك من أجل إثراء المكتبة وزيادة مقتنياتها . كما كان التكليف بالتأليف أو الترجمة أسلوبا آخر ، كما اتبع في مكتبتي الإسكندرية وبرجاموم ، حيث كانت المكتبتان أشبه بمركزي أبحاث يستقطبان كثيرا من العلماء في مختلف العلوم والفنون . وكانت أبحاث هؤلاء العلماء تضاف إلى مقتنيات المكتبتين .[٢٣] وهناك أسلوب آخر طبقته مكتبة الإسكندرية وتبعتها فيه مكتبة برجاموم ، وتمثل في إرسال وكلاء أو مندوبين يجولون البلدان (خاصة بلاد الإغريق) لشراء الكتب . إضافة إلى اتباع بعض الطرق الأخرى التي قد توصف بالتعسفية أو اللا أخلاقية التي طبق بعضها ملوك البطالمة في مصر من أجل إثراء مكتبة الإسكندرية - أهم وأشهر مكتبة عرفت في العالم القديم - وهو أسلوب المصادرة أو قريب منه . ومن تلك الطرق أيضا أن بطلميوس الثالث فرض على جميع السفن التي ترسو في ميناء الإسكندرية وعلى المسافرين تسليم ما يحملونه من كتب للمكتبة لتقوم باستنساخها وإبقاء أصولها لديها وتسليم أصحابها نسخا منها . بل إن أحد حكام البطالمة استغل إحدى المجاعات التي أصابت أثينا ، عندما رفض مدها بالطعام ، حتى اضطرت لتسليمه نسخا معتمدة من مآسي أسخيلوس Aeschylus وسفوكليس Sophocles ويوربيدس Euripides ، وعندئذ أمدها بالطعام .[٢٤] ولقد اتبعت مكتبة برجاموم أكثر الطرق والأساليب التي كانت متبعة في مكتبة الإسكندرية القديمة ، لا من حيث التزويد فحسب ، بل في طريقة تنظيم موادها

---

(٢٣) سعد بن عبدالله الضبيعان ، «مكتبة الإسكندرية القديمة : لمحة تاريخية ،» *العصور* ، ٤ ، جـ١ (يناير ١٩٨٩م/ جمادي الأولى ١٤٠٩هـ) ، ١٧ .

(٢٤) فؤاد صروف ، «مكتبة الإسكندرية ومدرستها وطرف من آثار علمائها في عهد البطالسة ،» *المقتطف* ، ٨٦ ، جـ١ (يناير ١٩٣٥م) ، ١٢ .

أيضا . فقد ذكرت بعض المصادر إلى أن يومينيس الثاني - وهو الذي بلغت المكتبة في عهده أقصى درجات تطورها - كان جامع كتب نشطا . وكان يعمل تحت إشرافه عدد كبير من النساخ الذين يواصلون العمل بشكل مستمر في نسخ الكتب لصالح المكتبة . وقد أشار المؤرخ المعروف استرابون إلى أن نيلوس Nelus ، وهو مدرس وصاحب مكتبة من مدينة سكيبس Scepsis في آسيا الصغرى، قد ترك كتبه لورثة غير متعلمين، غير أنهم مع ذلك يقدرون أهمية الكتب . ولذلك دفن أولئك الورثة تلك الكتب حتى لايصادرها ملوك برجاموم . (٢٥)

ويوضح ذلك بجلاء مدى التشابه بين مكتبتي الإسكندرية وبرجاموم ، في الطرق والأساليب غير العادية من أجل الحصول على الكتب . وهكذا لابد أن ملوك الأتاليين قد بذلوا جهودا مضنية في محاولاتهم اللحاق بمكتبة الإسكندرية . ويبدو أنهم نجحوا إلى حد كبير في هذا المجال . ويعضد هذا الرأي معرفة أن ما جمعه ملوك الأتاليين، وخاصة يومينيس الثاني، من الكتب قد قاربت المئتي ألف في فترة قصيرة نسبيا . (٢٦)

٢,٧ - تنظيم المجموعات : الفهرسة والتصنيف

وصلت مجموعات مكتبة برجاموم إلى مئتي ألف . وكان لابد لمجموعة كبيرة كهذه من اتباع نظام دقيق يمكن القارئ أو الباحث من الوصول إلى بغيته من المعلومات من هذا الكم الهائل من الكتب . ومع أنه لم يمكن العثور على نص يوضح الطرق المتبعة في فهرسة كتب المكتبة وتصنيفها ، إلا أنه من المحتمل أن أمناء مكتبة برجاموم لجأوا إلى الطرق والأساليب نفسها التي اتبعتها مكتبة الإسكندرية حيث كانت الأولى تسير على خطى الأخيرة ، وخاصة في مجالات التزويد والفهرسة والتصنيف. فقد أشار مؤرخ المكتبات جاكسون إلى هذه الحقيقة حين ذكر أن مكتبة برجاموم قد طبقت في مجال التزويد والفهرسة والتصنيف الأساليب والطرق نفسها التي اتبعتها منافستها مكتبة

(٢٥) النطق اليوناني أو اللاتيني لاسم المدينة (Scepsis) بالكاف وليس بكسر السين أو بإضافة يا كما هو النطق الإنجليزي . Parsons, *Alexandrian Library*, 29.

(٢٦) Johnson and Harris, *History*, 52.

الإسكندرية .[٢٧] فأرسلت وكلاءها إلى العالم المعروف آنذاك ، وخاصة المدن الإغريقية . وقد أشار بارسونز إلى أن كراتس المالوسي Crates of Malus (Mallos) – وهو أشهر مكتبيي برجاموم – بعمل فهارسه المشهورة Pinakes للأعمال النثرية والشعرية .[٢٨]

٢,٨ – حجم المقتنيات

لا تسعفنا المصادر التاريخية بالكثير من المعلومات حول إحصائية دقيقة لكتب مكتبة برجاموم . لكنه يستشف أن مجموعات الكتب قد وصلت إلى مئتي ألف لفافة ،[٢٩] ومن تلك ما أشار إليه بارسونز حول مجموع لفائف تلك المكتبة في عام٤١ ق . م .[٣٠] وقد أشار بلوتارخ Plutarch أن ماركوس أنطونيوس Marcus Antonius قد أهدى إلى كليوباترا مئتي ألف لفافة أخرجت من مكتبة برجاموم ، تعويضا لها عما أصاب مكتبة الإسكندرية الرئيسة (البروكيوم) ، التي يظن أنها احترقت في عام ٤٧ ق . م . عندما أضرم جيش يوليوس قيصر Julius Caesar النار في الأسطول المصري ومعه جزء من حي البروكيوم الذي تقع فيه المكتبة .[٣١] أقول إن صحت تلك الرواية ، فإن الكاتب يرجح أن يكون عدد اللفائف في مكتبة برجاموم يفوق مئتي ألف . إذ إنه من غير المعقول أن يعمد أنطونيوس إلى تسليم جميع كتب المكتبة إلى كليوباترا ، ويترك مكتبة برجاموم فارغة من الكتب ، بل المنطقي أن يبقى على مجموعة معقولة من الكتب في المكتبة .

---

(٢٧) Jackson, *Libraries*, 18.

(٢٨) Parsons, *Alexandrian Library*, 22.

(٢٩) تختلف لفائف البردي حجما وطولاً ، ولعل كمية المعلومات المسجلة على اللفافة الواحدة roll تقارب ما يشتمل عليه كتيب أو كراس واحد وتعادل بين ٦–٨ صفحات من القطع الكبير من الكتب المعاصرة . وقد عرفت منظمة اليونسكو الكتاب بأنه «مطبوع غير دوري تزيد صفحاته على ٤٩ عدا صفحتي الغلاف ،» أما الكتيب أو الكراس «فهو مطبوع غير دوري تتراوح صفحاته بين ٥ و ٤٨ عدا صفحتي الغلاف .»

(٣٠) Parsons, *Alexandrian Library*, 29.

(٣١) محمد أحمد حسين ، «مكتبة الإسكندرية في العالم القديم ،» ط١ (القاهرة : مطبعة الاعتماد ، ١٩٤٣م) ، ٧٢ ؛ انظر أيضًا : *Encyclopedia Americana International* (New York: American Corporation, 1955), 544.

٢,٩ - طبيعة المقتنيات

رغم أن الرَّق استخدم وسيطا للكتابة منذ آلاف السنين ، إلا أن مملكة برجاموم هي صاحبة الفضل في تطوير صناعته واستخدامه على نطاق واسع في الكتابة . ومن المرجح أن معظم كتب تلك المكتبة كانت من لفائف البردي .[٣٢] وربما يعود السبب في ذلك إلى أن الرَّق لم يعم استخدامه إلا في فترة متأخرة جدا بعد ذلك التاريخ .

٢,١٠ - المكتبة وعلماء برجاموم

لم تكن مكتبة برجاموم مكتبة بالمعنى التقليدي فحسب ، بل إنها مثل مكتبة الإسكندرية القديمة كانت مدرسة أو مركزا يعنى بالأبحاث .[٣٣] ومن المعروف أن أكاديمية الإسكندرية قد ضمت بين جنباتها صفوة من العلماء تراوح عددهم بين سبعين ومئة في مختلف التخصصات . وكان لهؤلاء تنظيمهم الخاص . ويشرف على الأكاديمية أحد الكهنة الذي يتم تعيينه من قبَل الحاكم . وينضوي تحت هذا المنصب العديد من التخصصات والأقسام الأكاديمية الَتي يعمل بها عدد من المتخصصين، ولكل منها رئيس يشرف على أعمالها .[٣٤] ومن المحتمل أن مدرسة برجاموم اقتفت نهج أكاديمية الإسكندرية . ومع أن المصادر التاريخية لا تمد الباحث بكثير من التفاصيل حول هذا الموضوع ، إلا أن هناك عددا من العلماء الكبار ممن تبوأوا رئاسة مدرسة برجاموم ومكتبتها أو عملوا بها . ولم يكن مكتبيو برجاموم من أولئك الموظفين العاديين الذين يؤدون عملاً روتينيا، بل كانوا مجموعة من العلماء الذين برز كل منهم في ميدانه . مثلهم في ذلك مثل أقرانهم في مكتبة الإسكندرية القديمة .

ويأتي على رأس هؤلاء كراتس المالوسي، الذي تولى إدارة هذه المدرسة فترة من الزمن . وقد دعي هذا العالم إلى روما في عام ١٦٨ ق.م. (أو ١٧٠ ق.م.) ، وذلك من أجل تطوير الدراسات الإغريقية بها،[٣٥] بالإضافة إلى إعطاء المشورة في الفن

---

(٣٢) Johnson and Harris, *History*, 51.

(٣٣) Ibid.

(٣٤) Irwin, *Origins*, 30.

(٣٥) Savage, *Story*, 15. ؛ انظر أيضًا : Johnson and Harris, *History*, 59; Irwin, *Origins*, 88.

المعماري للمكتبات .[٣٦] وكان خصما لبعض معاصريه من العلماء ، من أمثال الجغرافي أرستارخوس Aristarchus ، أحد أبرز علماء أكاديمية الإسكندرية ، الذي يعتقد أنه اكتشف دوران الأرض حول الشمس قبل أن يكتشفه العالم كوبرنيكس Copernicus .[٣٧] ويعتقد أن كراتس هذا هو الذي أسس المدرسة النحوية التابعة لأكاديمية برجاموم ، وأنه جمع فهارس Pinakes للأعمال النثرية والشعرية .[٣٨] كما كان مؤلفا بارزا ، إذ إن له كتابين أو ثلاثة في الشعر ، بالإضافة إلى أعمال مختلفة في الجغرافيا والتاريخ الطبيعي . لكن الدراسات النقدية كانت محور اهتمامه ، فقد تخصص في الدراسات حول الشاعر اليوناني الشهير هوميروس Homer صاحب *الإلياذة والأوديسا* *Iliad* and *Odyssey* ، كما يعود له الفضل في ظهور الاهتمام بالدراسات الأدبية في روما . وكدليل على علو مكانته في بلاط الأتاليين فقد اصطحبه أتالوس الثاني عندما ذهب إلى روما[٣٩] على رأس وفد من علماء أكاديمية برجاموم ، يأتي في مقدمتهم أثيندروس الطرسوسي Athinodorus of Tarsus الذي تولى إدارة المكتبة فترة من الزمن . كما ذهب إلى روما لتقديم المشورة في إقامة منشآت المكتبات هناك .[٤٠] ويعود التأثير المباشر لطراز برجاموم في روما وطراز البناء في المكتبات على نحو خاص إلى زيارة علماء مدرسة برجاموم إلى هذه المدينة .[٤١]

ولم يقتصر علماء برجاموم على تخصص دون آخر ، وإنما كان بينهم الشعراء والفلاسفة والكتاب والمؤرخون والأطباء . ففي مجال الشعر ، يمكن الإشارة إلى الشاعرين نيكاندر Nicander ، وموسوس الأفسوسي Musaeus of Ephesus اللذين تغنيا بأمجاد ملوك الأسرة الأتالية ، وخاصة أتالوس الأول ويومينيس الثاني .[٤٢] وفي الفلسفة ،

---

(٣٦) Parson, *Alexandrian Library*, 18.

(٣٧) Ibid., 22.

(٣٨) Ibid., 29.

(٣٩) Ibid., 23.

(٤٠) Johnson and Harris, *History*, 59.

(٤١) Savage, *Story*, 15.

(٤٢) Parson, *Alexandrian Library*, 24.

أنتيقونس الكارتوسي Antigonus of Carytus الذي لم يكن فيلسوفا فحسب، بل كان بالإضافة إلى ذلك كاتب سير وفنانا ومؤلفا. وفي مجال التاريخ يذكر المؤرخ أبولودورس الأثيني Apollodorus the Athenian الذي أهدى كتابا إلى أتالوس الثاني. كما كان هناك أيضا مؤرخ بلاط برجاموم نيثس Neanthes الذي ألف كتاباً حول أتالوس الثاني.

وفي مجال العلوم، يشار إلى بيتون Biton الذي أهدى إلى أتالوس الثاني أبحاثه حول معدات الحرب. كما كان من بين العلماء أبولونيس Appollonius of Perge الذي أهدى كتابه حول الأشكال أو الأقسام المخروطية إلى أتالوس الأول. وفي مجال الطب، عدت برجاموم منتجعا صحيًا للاستشفاء، وكان الطبيب جالينوس Galen من برجاموم، وهو من أشهر الأطباء في العصور القديمة. (٤٣)

١١,٢ - برجاموم وصناعة الرَّق أو البرشمان Parchment (Vellum)

لا يكاد يذكر الرَّق كوسيط للكتابة إلا وتذكر معه مملكة برجاموم. لا بل إن اسم هذه المادة parchment (٤٤) اشتق اسمها من اسم Pergamum. وأفضل أنواع الرَّق يدعى vellum، وهو نوع من الرَّق يختلف عن الرَّق العادي لشدة بياضه ونعومته ورقته، ويستخرج هذا النوع من جلود صغار العجول. ويرى بعض الباحثين أن الفرق بين البرشمان والرق الفاخر هذا parchment و vellum أن الأول يستخرج من جلود الضأن والثاني من جلود صغار العجول. (٤٥) أما ما أورده بعض المؤرخين من أن اتخاذ الرَّق وسيطا للكتابة كان من اختراع مملكة برجاموم، فإنه لا يخلو من المبالغة. إذ من المعروف أن معالجة

---

(٤٣) Ibid.

(٤٤) يعني لفظ رق أو برشمان في الإنجليزية parchment، ويقابله في الفرنسية parchemin؛ وفي الألمانية pergament؛ وفي الإيطالية pergamena؛ وفي اللاتينية pergament أو pergamena charta. أما الأصل الذي اشتق منه اللفظ اليوناني فهو pergamene وقد اشتقت جميع التسميات المشار إليها من اسم مملكة برجاموم، وتكتب Pergamum أو Pergamon. انظر أيضا: David Diringer, *The Book before Printing: Ancient, Medieval and Oriental* (New York: Dover Publication, 1953), 170.

(٤٥) Diringer, *Book*, 170-72.

الجلود والاستفادة منها لأغراض متعددة، ومنها الكتابة عليها ، قد وجد في مناطق البحر الأبيض المتوسط مثل : مصر ، والعراق ، وفلسطين ، وفي بلاد فارس ، وفي آسيا الصغرى ، وفي بلدان أخرى قبل نشوء مملكة برجاموم . (٤٦) فعلى سبيل المثال يشير بلْ إلى أن البردي لم يكن وسيط الكتابة الوحيد المستخدم في مصر والعالم القديم بوجه عام ، وإنما كانت الجلود - بعد تجهيزها - كانت تستخدم في مصر . ويضيف قائلاً : « ولا يقوم الرق بأي دور فيما لدينا من آثار عثر عليها في مصر اليونانية - والرومانية قبل القرن الثاني الميلادي ، ولكن من ذلك التاريخ وما بعده ، أخذ يعم استعماله بدرجة مطردة . » بينما يرى ستيبتشفيتش أن أقدم نص مكتوب على الجلد في مصر يعود إلى القرن الخامس عشر ق . م . ، (٤٧) وفي بلاد الرافدين إلى القرن التاسع ق . م . ومن هذين البلدين انتشر استعماله ليصل إلى بلاد الفينيقيين والشعوب الأخرى في شرق البحر المتوسط . أما ديرنجر فيرى أن أقدم وثيقة كتبت على الرَّق تعود إلى الفترة من ٢٥٥٠ إلى ٢٤٥٠ ق . م . (٤٨)

ومع أنه لم يثبت تاريخيا شرف اختراع مملكة برجاموم للرق كوسيط للكتابة ، إلا أنه من الواضح أنه يعود إليها الكثير من الفضل في تطوير هذه المادة لتصبح أكثر ملاءمة للكتابة عليها والتوسع في استخدامها . وجاء هذا التطوير نتيجة لجهود مضنية وخلال وقت طويل من أجل معالجة الرَّق حتى أصبح وسيط كتابة أفضل من البردي . ولم ينافس الرَّق البردي الذي كان الوسيط الرئيس للكتابة في بدايات اختراعه ، بل بقي شائعا مدة طويلة . ثم بعد ذلك أخذ الرَّق ينافسه تدريجيا حتى القرن الرابع الميلادي حيث ساد استخدامه . ومع أن استخدام البردي كوسيط للكتابة اختفى بعد ذلك أو كاد في أغلب الأماكن ، فإنه لم يختف تماما في مصر ، إذ عثر على بعض البرديات التي تعود إلى

---

(٤٦) دال، *تاريخ*، ٢٠ .

(٤٧) هارولد إدريس بل، *مصر من الإسكندرية حتى الفتح العربي : دراسة في انتشار الحضارة الهيليستية واضمحلالها*، ترجمة عبداللطيف أحمد علي، ط٣ (القاهرة : دار النضهة العربية، ١٩٧٣م)، ٢١؛ وانظر أيضًا : الكسندر ستيبتشفيتش، *تاريخ الكتاب (القسم الأول)*، ترجمة محمد م . الأرناؤوط، سلسلة عالم المعرفة، ع ١٦٩ (الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م)، ٨٥ .

(٤٨) Diringer, *Book*, 172.

القرنين الرابع والخامس بل والسادس الميلادي .[٤٩]

وإذا صحت رواية حظر تصدير البردي إلى مملكة برجاموم ، التي أشار إليها الكثير من المؤرخين الغربيين ، والتي مفادها أن مملكة البطالمة حظرت تصدير البردي إلى مملكة برجاموم خشية منافسة مكتبة برجاموم لمكتبة الإسكندرية ، فإن هذا العمل ربما أسهم في الإسراع في تطوير صناعة الرَّق في برجاموم وتحسينه كوسيط رئيس للكتابة ، وبالتالي استخدامه على نطاق واسع . ومهما كانت الأسباب وراء ذلك ، فإن مما لاشك فيه أن لموقع مملكة برجاموم أثرا واضحا في هذا التطوير ، ذلك أن أراضي هذه البلاد كانت عبارة عن مراع واسعة وسهول خصبة تميزت بماشيتها الوفيرة التي قام على إنتاجها الكثير من الصناعات النسيجية والجلدية التي مثلت الأعمدة الرئيسة للاقتصاد والإنتاج القومي في مملكة برجاموم ، إذ أسهمت - إلى جانب الإنتاج الزراعي - في الازدهار الاقتصادي لهذه المملكة الفتية . وقد أمكن التطوير والتحسين في صناعة الرَّقوق نتيجة للمعالجة الطويلة لهذه المادة ولأساليب المعالجة نفسها ، حتى أمكن الحصول على رق أبيض ناعم يشبه إلى حد كبير الورق الأبيض الجيد صفاءً وبياضا والمتفوق عليه قوة ومتانة وهو المسمى vellum .

وبمقارنة الرَّق والبردي كوسيطي كتابة ، فإن الأول يتميز على الأخير بمزايا عديدة منها :[٥٠]

١ - الكتابة على صفحة الرَّق من الجانبين ؛ وهذه ميزة مهمة في ذلك الوقت لما في ذلك من الاقتصاد في الكمية المستهلكة ، وهذه الميزة لا تتوافر في البردي .

٢ - سهولة الكتابة على سطحه وذلك لنعومته .

٣ - مرونته الناتجة عن ليونة الجلد المعالج ، مما يجعله أقل عرضة للكسر من البردي .

٤ - مقاومته للحريق بالمقارنة مع البردي والورق .[٥١]

---

(٤٩) Frederic G. Kenyon, *Books and Readers in Ancient Greece and Rome,* 2nd ed. (Ann Arbor, Mich.: The College of Librarianship, Wales University Microfilm Ltd., 1970), 117.

(٥٠) الضبيعان ، «مكتبة الاسكندرية ،» ٢٢ .

(٥١) Alfred J. Butler, *The Arab Conquest of Egypt and the Last Thirty Years of Roman Dominion,* ed. P. M. Fraster. 2nd ed. (Oxford: The Clarendon Press, 1978), 404-405.

٥ - إمكان تنظيفه في حالة اتساخه .

٦ - الجانب الداخلي من الجلد (الموالي للحم الحيوان) يبدو أكثر قتامة من الجانب الخارجي ، إلا أنه مع ذلك يحتفظ بالحبر بشكل أفضل .

٧ - الرَّق - على نقيض البردي الذي لا ينمو إلا في مصر - يمكن أن يوجد في كل البلاد وبالتالي فهو غير قابل للاحتكار كالبردي .

٨ - قوة تحمله للعوامل المناخية .[٥٢]

٩ - إمكانية المسح والكتابة على وثيقة الرَّق ؛ هذه الميزة يمكن اعتبارها إحدى المحاسن من منطلق ندرة مواد الكتابة في الماضي البعيد مما يمكن من الاستفادة منها أكثر من مرة . إلا أنه من ناحية أخرى ، يمكن اعتبارها إحدى المساوئ لما يسببه مسح الوثيقة وإعادة كتابتها من التزوير في الوثائق ، ولو أنه في الوقت الحاضر أصبح من الممكن بواسطة التقنيات الجديدة في الأشعة إعادة تسجيل النص الممحى وقراءته بسهولة .

ولم يكن للرَّق شعبية كبيرة في بدايات استخدامه . إلا أنه منذ النصف الأول من القرن الرابع الميلادي فاقت أهميته أهمية البردي . ويشير بل إلى أن الرَّق كوسيط للكتابة - وفقا للآثار التي عثر عليها - لم يكن له دور في مصر في العصر اليوناني والروماني قبل القرن الثاني الميلادي .[٥٣] وكان يقتصر استخدامه في بداياته على الرسائل والمذكرات الموجزة والوثائق ، إلا أنه شيئا فشيئا بُدئ في استخدامه في صناعة الكتب . وقد ظل الرَّق يناضل حوالي ثلاثة قرون قبل أن ينتصر على البردي ، حيث أخذ استخدام البردي في الاضمحلال بالتدريج منذ القرن الرابع الميلادي . والجدير بالذكر أنه وجدت بعض الوثائق البردية التي كتبت في القرن الحادي عشر الميلادي ، إلا أنها ، كما أشار سفند دال حالات شاذة تعود في مجملها إلى ندرة الرَّق أو المغالاة في ثمنه .[٥٤]

---

(٥٢) ليس هناك وسيط كتابة لا يتأثر بعوامل المناخ الشديدة كالحرارة ، والبرودة ، الرطوبة ، والجفاف ، وغيرها ، لكن الأمور هنا نسبية ، والمقارنة هنا بين البردي والرق ، إذ من المعروف أن الرطوبة الشديدة تؤدي إلى تعفن الجلد ، والحرارة الشديدة والجفاف يؤديان إلى تكسره .

(٥٣) بل ، مصر ، ٢١ .

(٥٤) دال ، *تاريخ* ، ٢١ .

٢,١٢ - مكتبة برجاموم والمكتبات الأخرى : التأثر والتأثير

يمكن النظر إلى علاقة مكتبة برجاموم مع المكتبات الأخرى من خلال تأثر هذه المكتبة أو تأثيرها على المكتبات السابقة أو اللاحقة لها ، وذلك من خلال المحورين التاليين :

١,١٢,٢ - علاقة برجاموم مع مكتبة الإسكندرية : مرحلة التأثر والمنافسة

١ - كانت مكتبة الإسكندرية القديمة- التي تعد أهم وأشهر مكتبة في العالم القديم - المثل الأعلى لمكتبة برجاموم . وقد ترسمت الأخيرة خطى الأولى ، وسارت على نهجها وطريقة عملها . وقد ظهر هذا جليا في طرق جمع الكتب ، وفهرستها وتصنيفها (تنمية المجموعات ، وتنظيمها) . (٥٥)

٢ - كان اهتمام ملوك الأتاليين بمكتبة برجاموم لا يقل عن اهتمام ملوك البطالمة بمكتبة الإسكندرية . وقد ظهر هذا بجلاء في عهد يومينيس الثاني الذي عُدَّت فترة حكمه العصر الذهبي للمكتبة بشكل خاص وللمملكة بشكل عام . وقد بلغت المكتبة في هذه الفترة أقصى درجات رقيها لما وفره لها من الدعم والتشجيع الذي تمثل في إقامة مبنى جديد لها ، وإيجاد طرق وأساليب للتزويد المستمر لمجموعاتها ، فضلاً عن توفير المكتبيين من العلماء . وحقيقة أصبحت المكتبة في عهد يومينيس الثاني أشهر مكتبة في العالم القديم بعد مكتبة الإسكندرية القديمة .

٣ - أشار كثير من الباحثين إلى أن ملوك البطالمة قد شعروا بحرص واهتمام بعض ملوك الأتاليين وخاصة يومينيس الثاني ، ولذا خشوا من منافسة مكتبة برجاموم لمكتبتهم فلجأوا إلى حظر تصدير البردي إلى مملكة برجاموم في محاولة لوقف تقدمها . (٥٦) وعلى النقيض من ذلك ، يرى مؤرخون آخرون أنه لاثمة وجه للمقارنة بين مكتبتي الإسكندرية القديمة ومكتبة برجاموم ، لأن مكتبة الإسكندرية التي استمرت أربعة قرون

---

(٥٥) Jackson, *Libraries*, 18 ؛ وانظر أيضا : Parsons, *Alexandrian Library*, 29.

(٥٦) Parson, *Alexandrian Library*, 25 ؛ انظر أيضاً : Johnson and Harris, *History*, 52; Diringer, *Book*, 171.

قد فاقت بمراحل مكتبة برجاموم التي استمرت قرنا ونصفا . [٥٧] وإذا كان حظر تصدير البردي إلى مملكة برجاموم قد ثبت بالفعل ، فإن أسبابه ربما تعود إلى الطلب المتزايد عليه في داخل مصر نفسها ، وبشكل خاص في زمن بطليموس السابع . [٥٨]

٤ - يندرج أيضا في إطار العلاقات بين المكتبتين ما أشير إليه سلفا من أن يومينيس الثاني حاول إغراء أرسطوفان البيزنطي الذي عمل في مكتبة الإسكندرية خلال الفترة من ١٩٥ إلى ١٨٠ ق.م. بترك العمل في مكتبة الإسكندرية ليعمل في مكتبة برجاموم . وعندما علم بطلميوس ابيفانس Ptolemy Epiphanes بهذا الأمر أمر بوضع هذا المكتبي في السجن للاحتفاظ به حتى لا تستفيد منه برجاموم . [٥٩]

٢ , ١٢ , ٢ - العلاقة مع المكتبات الأخرى : مرحلة التأثير

١ - تأثرت المكتبات الرومانية بمكتبة برجاموم وخاصة بطرازها المعماري . وظهر هذا واضحاً عندما سيطر الرومان على مملكة برجاموم . ويرى كلارك أن التأثير المعماري لمكتبة برجاموم على المكتبات الرومانية قد تم حتى قبل أن تصبح مملكة برجاموم ضمن الولايات الشرقية للإمبراطورية الرومانية ، [٦٠] حيث أصبح بناء هذه المكتبة نموذجا يحتذى به .

٢ - في نطاق تأثير مدرسة برجاموم وطرازها المعماري ، فقد سبقت الإشارة إلى الزيارات التي قام بها بعض علماء برجاموم إلى روما ، من أمثال كراتس المالوسي الذي زار روما في عام ١٦٨ أو ١٧٠ ق.م. سفيرا ليومينيس الثاني ، وذلك من أجل تطوير الدراسات الإغريقية في روما ، وتقديم بعض المشورة في الفن المعماري للمكتبات . [٦١]

٣ - أشار بارسونز إلى أن أتالوس اصطحب في زيارته إلى روما العالم كراتس المالوسي ، والطبيب ستراتيوس حيث ألقى الأول محاضرات نقدية في الأدب . وهذا -

(٥٧) Games G. Olle, *Library History* (London: Clive Bingley, 1971), 21. ؛ انظر أيضا : Jackson, *Libraries*, 18.

(٥٨) محمد أحمد حسين ، مكتبة *الإسكندرية في العالم القديم* ، ط١ (القاهرة : مطبعة الاعتماد ، ١٩٤٣م) ، ٧ ؛ انظر أيضا : الضبيعان ، «مكتبة الإسكندرية ،» ٢١ .

(٥٩) Kenyon, *Books*, 15; Savage, *Story*, 13; Parsons, *Alexandrian Library*, 151; Jackson, *Libraries*, 16.

(٦٠) Clark, *Care*, 19.

(٦١) Savage, *Story*, 15 ؛ انظر أيضا : *Encyclopedia of Library and Info. Sci.*, 1:400; Jackson, *Libraries*, 18.

على حد زعم بارسونز - أسهم في تذوق المعرفة الصافية للآداب الإغريقية لدى الرومان، مما رفع من قيمة ملوك الأسرة الأتالية .[٦٢]

٤ - لم تكن مكتبة برجاموم مكتبة فحسب ، لكنها كانت في واقع الأمر أكاديمية تعج بالعلماء على اختلاف تخصصاتهم . ولم يكن كراتس المالوسي العالم الوحيد الذي دُعي إلى روما للاستفادة من علمه ومشورته ، وإنما دُعي إليها عدد من علماء برجاموم البارزين ، يأتي في مقدمتهم بالإضافة إلى الطبيب ستراتيوس Stratius ، أثيندورس الطرسوسي الذي تولى إدارة هذه المدرسة فترة من الزمن .[٦٣]

٢,١٣ - نهاية مكتبة برجاموم

استمرت المكتبة ما يقارب مئة وخمسين عاما، كانت خلالها ملاذا للعلماء على اختلاف مشاربهم . ولا يعرف على وجه الدقة إن كان أغلب كتبها من الرَّقوق أم من لفافات البردي ، وإن كان يرجَّح أن محتواها من لفافات البردي أكثر من الرَّقوق ، لأن الاستخدام المكثف للرقوق بدأ منذ القرن الرابع الميلادي .

وقد اشتملت هذه المكتبة على كنوز إنسانية لا تقدر بثمن،[٦٤] ولعله من المفيد الإشارة إلى أنه، بعد قتل يوليوس قيصر، أصبحت الولايات الشرقية من الإمبراطورية الرومانية ، ومنها مملكة برجاموم ، تحت حكم ماركوس أنطونيوس الذي أصبح بينه وبين كليوباترا ملكة البطالمة علاقات خاصة . وقد سبقت الإشارة إلى الرواية التي أوردها بلوتارخ، وفحواها أنه استخرج مئتي ألف لفافة من مكتبة برجاموم وأهداها إلى كليوباترا تعويضا لها عما أصاب مكتبة الإسكندرية من تدمير على يد جيش يوليوس قيصر في سنة ٤٧ ق . م . ومع أن هذه الرواية مشكوك في صحتها، فإن بعض المؤرخين يشيرون إلى أن الامبراطور أغسطس Augustus ربما استعاد جزءا منها أو كلها وأعادها إلى مكتبة برجاموم .[٦٥]

---

(٦٢) Parsons, *Alexandrian Library*, 24.

(٦٣) Johnson and Harris, *History*, 51.

(٦٤) Parsons, *Alexandrian Library*, 29.

(٦٥) Johnson and Harris, *History*, 52.

ومن المعروف أن مكتبة برجاموم قد وصلت أوج عظمتها في عهد الملك يومينيس الثاني إلا أنه تولى الحكم بعده ملوك ضعاف ، ما لبثت المملكة ومكتبتها أن انحدرتا . ويصدق هذا على نحو خاص على فترة حكم أتالوس الثالث (١٣٨-١٣٣ق . م .) الذي نص في وصيته على تسليم برجاموم إلى الرومان ، وتم ذلك في عام ١٣٣ ق . م .[٦٦] وسواء صدقت روايتا نقل اللفائف من مكتبة برجاموم إلى مكتبة الإسكندرية ، ثم إعادتها جميعا أو بعضها أم لم تصدقا ، فإن مما لاشك فيه أن مكتبة برجاموم لم تلق العناية التي تستحقها في عهد الحكام الرومان الذين لم يعملوا شيئا لتطويرها ، أو حتى إبقاءها عند المستوى الذي وصلت إليه .[٦٧] بل إن بعض المصادر قد أوردت أن بعض هؤلاء الحكام قد نقلوا كثيرا من محتويات المكتبة إلى روما .[٦٨]

وتشير رواية روسية غير مؤكدة إلى أن الفاتحين المسلمين نقلوا بعضا من مقتنيات مكتبة برجاموم إلى مدينة بورصة Bursa في آسيا الصغرى ، وبقيت هناك حتى عثر عليها تيمورلنك Tamerlane في عام ١٤٠٢م ، حيث تم نقلها إلى مدينة سمرقند في وسط آسيا . وظلت في هذه المدينة حتى وقت متأخر من القرن السابع عشر الميلادي ، ولم يعثر لها على أثر بعد ذلك .[٦٩] ومن ناحية أخرى يشير بارسونز إلى أن مكتبة برجاموم كانت إلى سنة ٤١ق . م . لا تزال باقية وكانت مجموعاتها كبيرة تصل إلى ٢٠٠ ألف لفافة .[٧٠] فإذا صح هذا الرأي يترتب عليه أمران : الأول أن هذا يتناقض مع أقوال كثير من المؤرخين حول الرواية التي أشير إليها سابقا والمتعلقة بهدية الكتب التي أهداها ماركوس أنطونيوس إلى كليوباترا لوضعها في مكتبة الإسكندرية ؛ والثاني أن الهدية المشار إليها قد تمت بالفعل وأعيدت الكتب مرة أخرى كما أشار إليه جونسون وهاريس .[٧١]

---

(٦٦) Parsons, *Alexandrian Library*, 28. ؛ انظر أيضا : Peck, *Dictionary*, 1200 .

(٦٧) Clark, *Care*, 8.

(٦٨) Johnson and Harris, *History*, 52.

(٦٩) Ibid.

(٧٠) Parsons, *Alexandrian Library*, 29.

(٧١) Johnson and Harris, *History*, 52.

٢,١٤ - الخاتمة والاقتراحات

٢,١٤,١ - الخاتمة

كان أحد أهداف هذه الدراسة - كما أشير في البداية - المساهمة في إيجاد أدب عربي مكتوب يتناول أهم مكتبة وجدت في العالم الهيلينستي بعد مكتبة الاسكندرية. ولا يدعى الباحث أن الدراسة قد حققت جميع ما كان يصبو إليه . وكل ما يستطيع تأكيده أنه بذل وقتا طويلاً وجهدا كبيرا حتى خرجت إلى النور . ويعتقد الباحث أنه بنشر هذه الدراسة قد لفت نظر الباحثين إلى هذا الموضوع الذي يعده حيويا وتوصل لنتائج من أهمها :

- أظهرت الدراسة عدم وجود أدب مكتوب باللغة العربية حول مكتبة برجاموم مما يتطلب القيام بدراسات في المستقبل .

- أهمية مكانة مملكة برجاموم التي نشأت في أحضانها هذه المكتبة المعروفة، وذلك بسبب الثروات الطبيعية المتعددة التي تمتلكها إلى جانب الثروتين الزراعية والحيوانية، الأمر الذي أدى إلى قيام العديد من الصناعات .

- اشتهار هذه المملكة بصناعة الرق الذي يعود لها الكثير من الفضل في تطويره حتى أصبح وسيطا رئيسا للكتابة استطاع في البداية منافسة البردي فترة من الزمن ثم تغلب عليه في نهاية الأمر .

- أوضحت الدراسة أيضا درجة التحضر والرقي الذي بلغته هذه المملكة ولاسيما في مجال رعاية أوائل حكام الأسرة الأتالية للعمارة والفنون والآداب .

- بينت أيضا أهمية الرق كوسيط مهم للكتابة من خلال مقارنته مع البردي الذي كان الوسيط الرئيس قبل تطوير الرق .

- تمكنت الدراسة من تسليط الأضواء على مكتبة برجاموم من خلال ما يلي :

- الأهمية الخاصة للمكتبة انعكست بداية وجودها في أكروبولس المدينة، كما تمثلت في الرعاية الكبيرة التي أولاها إياها أوائل ملوك الأسرة الأتالية.
- تأسيس المكتبة ، ومنْ قام به ؟
- طرق التزويد بالكتب والأساليب المختلفة التي استخدمت لتحقيق ذلك .

- عدد المقتنيات ، وهل هي من البردي أم من الرقوق ؟
- تنظيم المقتنيات ، فهرسة وتصنيف موادها .
- العلاقة مع مكتبة الإسكندرية وتأثير الأولى على الثانية .
- علاقة مكتبة برجاموم مع المكتبات الرومانية .
- وأخيرا، نهاية المكتبة على ضوء ما توافر لدى الباحث من معلومات .
- ثم ذيلت الدراسة بعدد من الاقتراحات المحددة والتي من شأن الأخذ بها المساهمة في إيجاد أدب عربي مكتوب حول هذا الموضوع البكر .

٢,١٤,٢ - الاقتراحات

حاول الباحث أن يتقصى أطراف هذا البحث . ولا يدعي أنه أحاط بكل أدبياته ، ولكنه - حسب علمه - اطلع على جل ما كتب حوله باللغة الإنجليزية ولهذا فإنه يوصي بما يلي :

١ - تتبع ما كتب حول هذا الموضوع في المصادر الكلاسيكية من يونانية ورومانية .

٢ - تقصِّي الموضوع في اللغات الأخرى ، وخاصة في اللغة الألمانية التي اطلع الباحث على كثير من ملخصات البحوث التي كتبت بها والتي يعتقد أنها ثرية ومفيدة في مجال هذه الدراسة . وتكمن أهميتها على نحو خاص في التقارير العلمية التي أعدتها البعثات الاستكشافية الألمانية عن نشاطها في موقع مدينة برجاموم بين سنتي ١٨٧٨ و١٨٨٦م، والتي توصلت إلى الكثير من المكتشفات الأثرية التي لاتزال محفوظة في متحف برلين .

٣ - اطلع الباحث على ملخصات باللغة الإنجليزية عن بعض الأبحاث العلمية التي نشرت حول الموضوع باللغة الفرنسية، والتي يعتقد أن الرجوع إليها في لغتها الأصيلة سيساهم في إثراء هذا الموضوع . وهكذا يعتقد الباحث أن أية جهود تبذل لرصد أدبيات الموضوع في هاتين اللغتين - وربما غيرهما - لابد أنها ستثري أدبياته باللغة العربية .

٤ - يوصي الباحث بإعداد دراسات خاصة تركز على بعض الجوانب المهمة التي تناولتها هذه الدراسة بشيء من الإيجاز وأهما :

- مدى صحة رواية إيقاف تصدير البردي إلى مملكة برجاموم .
- برجاموم ودورها في صناعة الرَّق .
- التنافس بين مكتبتي الإسكندرية وبرجاموم .
- الرواية المثيرة التي أشار إليها بلوتارخ والتي زعمت أن ماركوس أنطونيوس استخرج مئتي ألف لفافة من مكتبة برجاموم وأهداها إلى كليوباترا لتضعها في مكتبة الإسكندرية القديمة .

The Library of Pergamum Through the Writings of Modern Scholars

Saad A. Al-Dobaian

Associate Professor, Department of Lib. & Inf. Sc., College of Arts,

King Saud University, Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. This article discusses the Library of Pergamum, considered to be the second most important library in the ancient world, after the Library of Alexandria. Initially, some attention is devoted to the kingdom of Pergamum itself, including its foundation, location, and cultural, economic and social importance in the Hellenistic world. The Library of Pergamum in its role as research academy is then considered, attention being given to its origins, facilities, collection, organization and personnel. The important contribution of the kingdom of Pergamum in the development of parchment as a replacement for papyrus is also mentioned. Finally, the article concludes with a consideration of the influence of the Alexandrian Library on the Library of Pergamum, as well as its influence on succeeding institutions.